أبو الحسن الندوي وأدب التقديمات

Abu al-Hasan al-Nadawi and the Art of Presentations

Abu Al-Hasan An-Nadawi dan Etika Pembentangan

منجد مصطفى بهجت*

ملخص البحث

لأبي الحسن الندوي جهود متميزة في الفكر الإسلامي وفي اللغة والأدب، ولكن جهوده في الأدب كانت أكثر تميزاً. ويمكن أن يكون أول منظر لأدب التقديمات، ولم يكتف بالتنظير بل تجاوزه إلى التطبيق على نحو ما سيتناوله البحث. وستكون مهمة البحث محاولة تحديد مفهومه ومقوماته، وقد أطلق على هذا النوع أدب التقريظ الذي يختلف عن الترجمة الذاتية أو السيرة الذاتية، بعد تحديد المفهوم، ويحاول البحث تقديم ضوابط هذا النوع الأدبي وأهميته. وسيتناول الجانب التطبيقي بالوقوف على نموذج واحد لهذا الفن وتحليله للتعرف على خصائصه.

الكلمات المفتاحية: التقديمات– المفهوم الغربي– الضوابط– التحليل– النموذج.

Abstract:

Abu al-Hasan al-Nadawi has distinctive works in Islamic thought, language and literature. However, his works in literature was more outstanding since it was the pioneer for the art of presentation. He did not stop at only theorizing about it but carried further to apply it

* أستاذ بروفيسور بقسم اللغة العربية وآدابها– الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

as what the present paper will reveal through defining its concept, foundations and characteristics. This type of literary writing is different from biography writing. The paper will make use of one work of the scholar and will analyse this creative writing in it to define its characteristics.

Keywords: presentation – western concept – characteristics – analysis – sample.

Abstrak:
Sumbangan Abu Hasan An-Nadawi dalam bidang bahasa, sastera dan pemikiran islam adalah sangat besar namun, sumbangan beliau dalam bidang sastera adalah lebih terserlah. Pandangan beliau yang paling utama adalah berkenaan etika dalam pembentangan yang mana beliau bukan sahaja mengasaskan teori bahkan mengaplikasikannya seperti yang akan dibahaskan dalam kajian. Maka kajian ini akan cuba meletakkan konsep bagi etika pembentangan dan elemen-elemennya yang mana ia dinamakan sebagai etika pujian yang berbeza daripada biografi. Kemudian penyelidik cuba menetapkan beberapa disiplin dalam bidang ini dan kepentingannya, manakala dari segi aplikasi, penyelidik akan menganalisis salah satu contoh untuk mengenali keistimewaanya.

Kata kunci: pembentangan- konsep barat – disiplin – analisis – contoh.

تمهيد

ولد الشيخ الندوي كما يذكر عن نفسه في ٦ محرم الحرام ١٣٣٣ الموافق سنة ١٩١٤ ومنذ سن مبكرة، أتاحت له أُسرته أن يقبل على علوم العربية إقبالاً منقطع النظير، ومن يقرأ سيرته الذاتية يتعرف تعرفاً مباشراً على دور أُسرته في تنشئته ودور العلماء المحيطين به، وأما أبوه عبد

الحي الحسني (ت ١٩٢٣) فيعد ابن خلكان الهند إذ هو صاحب كتاب نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر في ثمانية أجزاء[١]. ولما بلغ التاسعة توفي أبوه ثم تعهدته أُمه السيدة خير النساء (ت ١٩٦٨) وكانت شاعرة عابدة حافظةً للقرآن، ومؤلفة للكتب العديدة..

وكانت باكورة نتاجه الأدبي سنة ١٩٣٠ إذ نشر في مجلة المنار بالقاهرة مقالة بعنوان (ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، مجدد القرن الثالث عشر) وكان قد نيف على السادسة عشرة من عمره، ثم نشره له كتاباً العلامة السيد رشيد رضا في القاهرة ١٩٣٤. ثم تتابعت نشاطاته وكتاباته،(ولما كان عام ١٩٤٧ انفتح على العالم الإسلامي برحلاته إلى دول آسية وأفريقية وأُوربة وأمريكة. وألقى المحاضرات في معظم الجامعات العالمية والمؤسسات العلمية فيها ومنح الجوائز وشهادات التكريم من أكثر من جهة، ولم يكن حريصاً على الشهادات التي ربما قدح تسلمها في مروءته وشخصيته، ولهذا ترك بعضها ولم يتسلمها[٢] كما رفض تسلم مكافأة من إحدى الجامعات بعد أُسبوعين من إلقائه المحاضرات بما يقابل ستة آلاف دولار أمريكي، وكان جوابه أنه لا يأخذ على الدعوة أجراً.[٣])

وأصبح معروفاً على الصعيد العالمي، وقد جمع تلميذه وابن أُخته الشيخ محمد الرابع الندوي الرسائل الموجهة إليه في كتاب سماه (رسائل الأعلام) فكانت سبعين رسالة لخمسين من الكتاب والأعلام انتقاها الشيخ أبو الحسن الندوي من حوالي ثلاثمائة رسالة. إن الشيخ الندوي يمكن أن يوازن بالنفر القلائل من العلماء، أمثال ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، وابن حزم (٤٥٦هـ)، وابن عبد البر (٤٦٣هـ)، من حيث تنوع ثقافته وإسهاماته المتنوعة في مجالات أصول الدين ومقارنة الأديان، والكتاب والسنة، والسيرة والتاريخ، والدعوة والعقيدة، والأدب والنقد، وقد أتاحت ثقافته المبكرة هذا التنوع في خوض مجالات العلوم الشرعية والإنسانية من باب واسع.

ويرى علي الطنطاوي أن معرفة الندوي باللغات الثلاث (العربية، والأردية، والإنجليزية) فضلاً عن الفارسية، أتاح له أن يكون ثلاثة في واحد، وأنه جمع الفضل مثلثاً.[٤] وليس أدل على

هذا التنوع من الاطلاع على جهود الأخ محمد طارق زبير في رسالته الصغيرة التي جاءت في تسع وثلاثين صفحة، جمع فيها عناوين رسائل وكتب الشيخ مرتبة على حروف المعجم[٥]، وبلغت مؤلفاته مائة وستة وسبعين بين رسالة وكتاب وبحث، وقد سلخ سبعين عاماً في التأليف، إذا علمنا أنه ألف أول كتاب سنة ١٩٣٠، وكان في السنة السادسة عشرة من عمره، إذ أنه ولد سنة ١٩١٤، وبقي على ذلك حتى فارق الحياة ١٩٩٩. حقاً لقد واصل كلال الليل بكلال النهار، ولم ينقطع عن الكتابة وحضور مؤتمرات رابطة الأدب وكان آخرها في مصر ١٩٩٩/٨/١.

فهو خلال السنوات الخمس الثانية من عقده الثاني يقدم أربعة أعمال أدبية بما يدل – بشكل واضح – على النضج المبكر. والبيئة التي أحاطت بالشيخ كان لها أثرها الكبير، ولا سيما البيت و"ندوة العلماء"، والعلماء الذين كانوا يقصدونها أمثال تقي الدين الهلالي، وخليل بن محمد اليماني، وقد استمرت صلاته به بعد أن ترك ندوة العلماء.

ولا يقع اهتمامنا في حديثنا هذا بجوانب الأديب المبدع، ولكن لا بأس من أن نؤصل أولية الشيخ الندوي في مجال التنظير للأدب، فهو تاريخياً أول من تقدم بفكرة الأدب الإسلامي وأول من تبنى الدعوة إليه في العصر الحديث، وكان هذا في مطلع حياته حين بلغ السادسة والثلاثين، حيث قدم محاضرته في المجمع العلمي العربي - دمشق سنة ١٩٤٠، ثم جاء سيد قطب في مقالاته المنشورة سنة ١٩٥٢ ثم جمعها في كتابه (التاريخ فكرة ومنهاج)، وجاء شقيقه محمد قطب في كتابه (منهج الفن الإسلامي) سنة ١٩٦١، وبعده نجيب الكيلاني في كتابه (الإسلامية والمذاهب الأدبية)، سنة ١٩٦٣، ثم عماد الدين خليل في (النقد الإسلامي المعاصر) سنة ١٩٦٣.[٦]

لقد واكب الشيخ حركة الأدب الإسلامي على المستويين الفردي والجماعي، الفردي من خلال مؤلفاته وكتاباته .. والجماعي من خلال دعوته إلى الندوة العالمية للأدب

الإسلامي في ١٧ - ١٩ إبريل ١٩٨١، وقد انتخب رئيساً للرابطة مدى الحياة في (٩ يناير ١٩٨٦).

مفهوم أدب التقديمات:

اللغة والاصطلاح:

تشير المعاجم اللغوية إلى معان كثيرة ودلالات مختلفة للجذر الثلاثي، ق د م، والمزيد بالتضعيف والتاء، ففي أساس البلاغة، قدم تقدّمه وتقدّم عليه واستقدم، "لا يستأخرون عنه ساعةً ولا يستقدمون واستقدمت رحالتك. وفرس مستقدم البركة. وقدم قومه يقدمهم، ومنه: قادمة الرّحل: نقيض آخرته. وقوادم الطائر. وقدّمته وأقدمته فقدّم وأقدمَ بمعنى تقدّم، ومنه مقدّمة الجيش ومقدمَّته: للجماعة المتقدّمة، والإقدام في الحرب. قال عنترة:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

ولفلان قدمٌ في هذا الأمر: سابقة وتقدّم. وله قدم صدقٍ. قال ذو الرمّة:

لكم قدمٌ لا ينكر الناس أنها مع الحسب العاديّ طمّت على الفخر

ووضع قدمه في العمل: أخذ فيه. وقدِّم رجلك إلى هذا الأمر: اقبل عليه. وضربه فركب مقاديمه إذا وقع على وجهه. وتقدّمت إليه بكذا وقدّمت: أمرته به. وفلان يتقدّم بين يدي أبيه، إذا عجل في الأمر والنهي دونه. ولفلان متقدّم في الخير. وماله في ذاك متقدّم ومقتدم.[٧]

وفي لسان العرب تقدمه في الإسلام وسبقه. وفي التنزيل العزيز:﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ أي سابق خير وأثرا حسنا، قال الأخفش: هو التقديم كأنه قدّم خيرا وكان له فيه تقديم، وكذلك القُدمة، بالضم والتسكين، قال سيبويه: رجل قُدم وامرأة قُدمة يعني أن لهما قدم صدق في الخير، قيل: وقدم الصدق المنزلة الرفيعة والسابقة، والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير، قال: وللكافر قدم شر، قال ذو الرمة:

وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة لهم قدم معروفة ومفاخر

قالوا: القدم والسابقة ما تقدموا فيه غيرهم. وروي عن أحمد بن يحيى: قدم صدق عند ربهم، القدم كل ما قدمت من خير. وتقدمت فيه لفلان قدم أي تقدم في الخير.

ابن قتيبة: أن لهم قدم صدق يعني عملا صالحا قدموه. أبو زيد: رجل قدم وامرأة قدم من رجال ونساء قدم، وهم ذوو القدم. وجاء في تفسير قدم صدق: شفاعة النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم القيامة. وقدام: نقيض وراء، وهما يؤنثان ويصغران بالهاء: قديدمة و قديديمة ووريئة، وهما والجوهري بالتاء المعجمة من فوق، قال: وقيل إن التقدمية بالياء من تحت هو التقدم بهمته وأفعاله. والتقدمية والتقدمية: أول تقدم الخيل، عن السيرافي. وقدمهم يقدمهم قدما وقدوما وقدمهم، كلاهما: صار أمامهم. وأقدمه وقدمه بمعنى، قال لبيد:

فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت إقدامها

أي يقدمها، قالوا: أنث الإقدام لأنه في معنى التقدمة، وقيل: لأنه في معنى العادة وهي خبر كان، خبر كان هو اسمها في المعنى، ومثله قولهم: ما جاءت، حاجتك، فأنت ما حيث كانت في المعنى الحاجة. وتقدم: كقدم. وقدم واستقدم: تقدم. التهذيب: ويقال قدم فلان فلانا إذا تقدمه. الجوهري: قدم، بالفتح، يقدم قدوما أي تقدم، ومنه قوله تعالى: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار، أي يتقدمهم إلى النار ومصدره القدم. يقال: قدم يقدم، وتقدم يتقدم، وأقدم يقدم، واستقدم يستقدم بمعنى واحد.

وفي التنزيل العزيز: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، وقرئ لا تقدموا، قال الزجاج: معناه إذا أمرتم يأتي منكم أولا إلى المسجد ومن يأتي متأخرا. وقدم بين يديه أي تقدم. وقوله عز وجل: لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا تقدموا، فسره ثعلب فقال: من قرأ تقدموا فمعناه لا تقدموا كلاما قبل كلامه، ومن قرأ لا تقدموا فمعناه لا تقدموا قبله، وقال الزجاج: تقدموا وتقدموا بمعنى.

وأقدم وأقدم: زجر للفرس وأمر له بالتقدم. وفي حديث بدر: إقدم حيزوم، بالكسر، والصواب فتح الهمزة، كأنه يؤمر بالإقدام وهو التقدم في الحرب. والإقدام: الشجاعة. قال: والقدم: الشرف القديم، على مثال فعل. ابن شميل: لفلان عند فلان قدم أي يد ومعروف وصنيعة، وقد قدم وقدم وأقدم وتقدم واستقدم بمعنى كما يقال استجاب وأجاب. ورجل مقدام ومقدامة: مقدم كثير الإقدام على العدو جريء في الحرب، الأخيرة عن اللحياني. ورجال مقاديم، والاسم منه القدمة، أنشد ابن الأعرابي:

تراه على الخيل ذا قدمة إذا سربل الدم أكفالها

ورجل قدم، بكسر الدال، أي متقدم، وأنشد أبو عمرو لجرير: وقادمتهم وقداماهم: متقدموهم. التهذيب: مقدمة الجيش، بكسر الدال، أوله الذين يتقدمون الجيش، وأنشد ابن بري للأعشى:

هم ضربوا بالحنو حنو قراقر مقدمة الهامرز حتى تولت

وقيل: إنه يجوز مقدمة بفتح الدال. ومقدمة الجيش: هي من قدم بمعنى تقدم، ومنه قولهم: المقدمة والنتيجة، قال البطليوسي: ولو فتحت الدال لم يكن لحنا لأن غيره قدمه، فلو مات إنسان من الحب مقدما لمت ولكني سأمضي مقدما وفي كتاب معاوية إلى ملك الروم: لأكونن مقدمته إليك إي الجماعة التي تتقدم الجيش، من قدم بمعنى تقدم، وقد استعير لكل شيء فقيل: مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام، بكسر الدال، قال: وقد تفتح. ومقدمة الإبل والخيل ومقدمتهما، الأخيرة عن ثعلب: أول ما ينتج. وواضح مما تقدم الدلالات الكثيرة القريبة من الدلالة الاصطلاحية لمعنى التقديم الذي نحن بصدد أدبه، ولا سيما في استعمال مقدمة الكتاب بكسر الدال وفتحها.

ولم يجد الباحث في المصادر الاصطلاحية القديمة أو الحديثة[٨]، من أفرد القول في موضوع أدب التقديمات، ومن شأن المعاجم الاصطلاحية ومهامها، أن تحدد خصائص كل نوع أدبي منعا للتداخل، وستكون مهمة البحث محاولة تحديد مفهومه ومقوماته، والفرق بينه

وبين الأنواع الأدبية الأخرى، الترجمة الذاتية أو السيرة الذاتية، والسيرة الغيرية، وكذلك ما عرف بأدب التقريظ....

في المفهوم الغربي[٩]:

يطلق الغربيون كلمة (GENRE) على الجنس الأدبي، وأما كلمة التقديم فيطلقون كلمة (PROLOGUE) وهي غالبا ما تختص بالمسرحية، ويطلقون كلمة (PREFACE) على مقدمات الكتب، ويطلقون كلمة (REVIEW) والمصطلح الأخير يراد به التعريف بجهود الباحثوالتركيز على الايجابيات، وإظهار المحاسن والمساوئ للنص الذي يكتب له، ويقابل مصطلح المراجعة، الذي يختلف عن مصطلح التقديم في أنه لا يرتبط برغبة الكاتب، بل هو بمعزل عنها. ويحدد المتخصصون موقع التقديم في يمين الكتاب[١٠] أي في الصفحة الأولى من الكتاب يكتبه واحد هو غير المؤلف. ويستحسن أن يكون متخصصا في مجال الكتاب.

قلّما يقرأ الناس هذا التقديم، ولكنهم سيقرؤون اسم المتقدم فإذا كان الاسم علماً، فإنه يوضع على الغلاف، وسيؤدي إلى رواجه ولذلك قد يتعذر على الأعلام التقديم للكتاب، فيبادر المؤلف بكتابة هذه الكلمات المقدمة القصيرة، ثم يضع اسم هذا العلم، وهو في الغالب يوضع في أعلى الصفحة وليس بعد التقديم، والتقديم كذلك مثل فهرس الكتاب، يكون الترقيم فيه بالحروف وليس بالأرقام. والاهتمام يكون للمضمون في الغالب إذ يركز على الثناء على الكتاب وإظهار أهميته.

تنبه موسوعة Wikipedia إلى أن مهمة المقدم، للطبعة الثانية بيان الفروق الجديدة في الطبعة التي اختلفت عن الطبعة الأولى. الفرق بين المقدمة preface والتقديم foreword أن التقديم يقترن بتوقيع صاحبه، لغرض التأكيد إلى نسبة التقديم لصاحبه. وأقدم النصوص التي استخدم بها التقديم، منتصف القرن السابق ١٨٥٠م.

مصطلحات أخرى:

السيرة الذاتية: والسيرة أو تاريخ الحياة أو ترجمة الحياة Biography هي:

١- تاريخ مدون لحياة الشخص. ٢- فن ترجمة الحياة لشخص ما. ٣- الجنس الأدبي لقصد ترجمات الأشخاص.[١١]

السيرة الغيرية: وهي فرع من السيرة الذاتية، وسميت كذلك، لأن طابعها غيري، كما أنك في التقديم غيري، ولست ذاتيا. وهي ترجمة حياة الآخرين، نقل عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق، ومن شروطها أن يكون كاتب السيرة الغيرية موضوعيا، يلمح بسرعة، ويفهم بإحكام، ويُلم الحقائق، ويحكم عليها ويمزجها مزجاً متعادلاً منسجما، ويصبغها بأسلوبه. ومترجم غيره، فيقف موقف الشاهد لا القاضي.[١٢] تنبع السيرة الذاتية من الداخل متجهة نحو الخارج على عكس الاتجاه الذي تمشي به السيرة الغيرية.. ونجاح من يكتب سيرة غيره يقاس بمقدار تجرده وغيرته.[١٣]

ومن الأنواع الأدبية التي تلتقي بأدب التقديمات التقريظ، وهو فن شائع في العصر الحديث في الكتاب العربي والغربي، وله أمثلة كثيرة، منها ما نجده في مقدمة صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، فقد ساق في مقدمة تفسيره تقديمات سبعة، للشيوخ عبد الحليم محمود، عبد الله بن حميد، أبو الحسن الندوي، عبد الله عمر نصيف، راشد بن راجح، عبد الله خياط، محمد الغزالي، ويلاحظ أنها جميعا تدخل في باب التقريظ وليس في باب التقديم، فهي موجزة جداً جاءت بين ثمانية أسطر وأربعة عشر سطرا، وكانت مؤرخة بين أعوام ١٣٩٦هـ - ١٤٠٦هـ.[١٤]

ومما يلتقي مع هذا النوع الأدبي التقديم للشخصيات وليس للكتب، وإن كانت الكتب جزءاً من هذا التقديم، وكتاب "وشيٌ وحلي"[١٥] وعقّب المؤلف بعد العنوان بـ" كلمات وفاء وحب في رجالات عرفتهم"، من النماذج الراقية لهذا الأدب، فقد تضمن التعريف بتسع عشرة شخصية، ممن تعرف عليهم المؤلف، وجاء التعريف بهم في حياتهم،

وليس بعد مماتهم، كما هو جار لدى كثير من الكتاب، فهو نموذج فني فريد في بابه، قريب من السيرة الغيرية، ومختلف عنها.

أدب التقديم أو أدب التقديمات:

يتناول موضوع ورقتنا لهذا المؤتمر أدب التقديم للكتب المؤلفة، ولا يقف عند أدب مماثل له كثيراً ما نمارسه، حين نقدم أديباً أو عالماً في حديث إذاعي أو تلفازي أو محاضرة عامة أو ندوة علمية. وهو نوع أدبي له اعتباره وله خصائصه.

ولعل أول من نظّر للتقديم للكتب أبو الحسن الندوي يقول: تقديم كتاب لمؤلف معاصر أو عالم كبير، أو صديق عزيز، ليس عملاً تقليدياً يقوم به الكاتب مجاملة أو تحقيقاً لرغبة المؤلف أو الناشر أو إرضائه، إنه شهادةٌ وتزكية، ولهما أحكامُهما وآدابهما ومسؤوليتهما.

ولابد في التقديم من زيادة معلومات وإلقاء أضواء على موضوع الكتاب ومقاصده، وعلى حياة المؤلف ومكانته بين العلماء المعاصرين في عصره ومصره، وعلى تكوينه العقلي ونشوئه العلمي والدوافع التي دفعته إلى التأليف في هذا الموضوع رغم وجود مكتبة واسعة في موضوعه أو مجموعة من الكتب التي ألفت في هذا الموضوع، ولا يكون التقديم مجموع كلمات تقريظ ومدح يمكن أن يحلّى به جيد أي كتاب إذا غُير اسمه واسم مؤلفه.

ولا بد من أن تكون بين المقدّم للكتاب وبين موضوعه صلة علمية أو ذوقية أو دراسة وافية للموضوع وما أُلف فيه، وارتباط وثيق كذلك بينه وبين الكتاب في موضوع علمي أو أدبي أو فكري أو دعوي. وعلى مدى إخلاصه لموضوعه واختصاصه وتفانيه فيه ورسوخه في العلم والدين وأخذهما من أصحاب الاختصاص فيه المعترف بفضلهم، إذا كان الكتاب في موضوع ديني كالتفسير والحديث والفقه وما إلى ذلك.

ويجب أن يكون هذا التقديم عن اندفاع وتجارب وتحقيق لرغبة نشأت في نفس المقدّم بعد قراءة هذا الكتاب، تحثه على كتابة هذا التقديم، وتحبب إليه المهمة، وتيسرها له بحيث إذا امتنع عنها اعتبر نفسه مقصراً في أداء حق وإبداء مشاعر وانطباعات، وأخفى حاجة في نفس يعقوب ما قضاها، وذلك هو التقديم الطبيعي المنصف الذي له أثره وفائدته.

وقد يتحول من شهادة بالحق وتقويم للكتاب تقويماً علميا، وبيان مكانته في ما كتب وألف في موضوعه، ومدى مجهود المؤلف في إخراج هذا الكتاب، ونجاحه في عمله التأليفي أو التحقيقي، إلى سمسرة تجارية أو قصيدة مدح وإطراء من شاعر من شعراء المديح، فيفقد قيمته العلمية والأدبية ويتجرد من الحياة والروح. [١٦] ويؤكد عبد السلام آزادي أن أبا الحسن الندوي هو أول من دعا إلى إدخال التقديمات في الأجناس الأدبية وقعد له[١٧]، ومن الضوابط والشروط التي وضعها أبو الحسن ما يأتي:

١. أن يعتقد صاحب التقديم أنه يقوم بعمل شهادة لله وتزكية للمؤلف، ويتبع في ذلك التوجيه الرباني "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين" [النساء: ١٣٥] و"إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيرا" [النساء: ٥٨]، فيحاسب نفسه قبل أن يكتب التقديم، ومن محاسبته أن يترك المجاملة والإطراء، ويترك السمسرة التجارية، والإرضاء من دون الله. وقد قيل في أهمية الشهادة: "من شهد كمن قضى".

٢. ولا بد أن يكون في التقديم زيادة معلومات، ويلقي فيه الكاتب الأضواء على موضوع الكتاب ومقاصده، وعلى حياة المؤلف ومكانته بين العلماء المعاصرين في عصره ومصره، وعلى تكوينه العقلي ونشوئه العلمي والدوافع التي دفعته إلى التأليف في الموضوع.

٣. ينبغي أن تكون بين كاتب التقديم وبين موضوع الكتاب صلة علمية أو ذوقية أو دراسة وافية للموضوع وما ألف فيه، فضلا عن ارتباطه الوثيق بينه وبين الكاتب. فلا بد — في

نظر الشيخ- أن يطلع كاتب التقديم على تركيب المؤلف العقلي والعلمي والعاطفي، ومدى إخلاصه لموضوعه واختصاصه وتفانيه فيه ورسوخه في العلم والدين.

٤. أن يكون التقديم من دافع نفسه، فيكتب عن اندفاع وتجارب وتحقيق لرغبة نشأت في نفس المقدم بعد قراءة هذا الكتاب، تحثه على كتابة هذا التقديم، وتجبب إليه المهمة، حتى يشعر الكاتب أنه إذا لم يؤد هذا العمل قصر في أداء الحق، وأخفى حاجة حركت نفسها فدفعت لقضائها، ولكنه أخفاها.

ضوابط التقديم وأهميته:

يمكننا أن نتوصل إلى ضوابط هذا النوع الأدبي من خلال ما حدد من معالم جاءت عند أبي الحسن الندوي على النحو التالي:

١. التقديم يكون لمؤلف معاصر أو عالم كبير أو صديق عزيز، وإذا كان لمؤلف غير معاصر، تحول إلى مقدمة، ولم يعد تقديماً.

٢. الأصل في التقديم، أن يطلب المؤلف من المقدم تقديم كتابه، أو أن تشعر المقدم بأن الصلة والذمام كافيان لأن يقدّم لصاحب الكتاب بدون استئذان، فهو حميم والتقديم الناجح هو الذي يثبت صلة متينة بين المقدم والمؤلف.

٣. مهمة التقديم، تقديم معلومات إضافية في موضوع الكتاب، ومقاصده، وليست المهمة التعريف بالكتاب تعريفاً عاما. كذلك تحديد موقع المؤلف ومكانته من موضوع الكتاب، والدوافع التي دفعته إلى التأليف في الموضوع. والفرق بين الكتاب والكتب المماثلة في موضوعه.

٤. يختلف التقديم عن التقريظ، فالتقديم الهادف يرتبط بالكتاب ارتباطاً مباشراً في حين يكون التقريظ صالحاً لأي كتاب آخر، بمجرد تغيير اسم الكتاب واسم مؤلفه.

٥. تظهر أهمية التقديم في أنه ليس عملا تقليديا أو شكلياً لتحقيق منفعة أو مصلحة عارضة، بل هو مسؤولية جسيمة، لا تختلف عن مسؤولية الشهادة في الإسلام، وقد تعرضت كتب الفقه لأحكام الشهادة، كما تقدم التفصيل فيه.

يرى آزادي وهو بصدد التأصيل للأدب الإسلامي، أن التقديم إذا جاء بالشروط السابقة، يأتي عليه لونان من ألوان الأدب وهما: الطبع، والأثر والفائدة، اللذان إن حملهما نص التقديم حوّله إلى الأدب الطبعي الجميل المنصف، فبالتالي يدخل من صميم الأدب الإسلامي، ولو لم يكتبه أديب مشهور. وإذا تجرد نص التقديم وصاحبه من هذه الشروط فلا يرى الندوي له أيّ اهتمام، بل في رأيه أن هذ التقديم قد يضر الكتاب، ويقلل من شأنه، ولو كتبه أديب مشهور.

ولا ينبغي لمن يدرس أدب التقديم أن يغفل جهود علي الطنطاوي في هذا النوع الأدبي، وهي تظهر في بعدين، تنظيري، وآخر تطبيقي، فقد صرح بأنه كتب أكثر من خمسين تقديما. وهو بذلك يتفوق على الشيخ أبي الحسن الندوي في ممارسة التقديم وإن كانا فرسي رهان.

ومن الناحية التنظيرية نجده يصنف مراتب الذين يقدم لهم فيجعلها ثلاثا: من هو مبتدئ يعتمد على مقدمتي فيرى الناس كتابه، ومنهم من هو مثلي لا يحتاج إليّ، ولكن ينوع مائدته، حين يضع مقدمتي مع كتابه، ومنهم من هو أفضل مني ولكنه كرّمني حين جعلني أقدّم كتابه للناس". وفي موضع آخر جعل التقديم لنوعين من الكتاب: مؤلف مبتدئ أعرف به وأدلهم على فضله، ومنها ما هو لأساتذة كبار ما هم بحاجة إلى مقالة مني أقدم بها كتبهم، ولكنهم أرادوا تكريمي بضم اسمي إلى أسمائهم.[١٨]

وقد بلغ ما ضمه الكتاب من المقدمات أربعين مقدمة، منها: سبع عشرة مقدمة لا تدخل في مفهوم أدب التقديمات لأنها مقدمات كتبها لكتبه، والبقية التي بين أيدينا هي

ثلاثة وعشرون تقديما، لأن الطنطاوي حذف ثلاثة تقديمات، وجدها دون المستوى المطلوب، وجميع هذه التقديمات مما يقع في مفهوم بحثنا.

وتظهر أهمية التقديمات في الآراء والأفكار التي يوردها المقدم، وهي تمثل تجربة حية أو علاقة بشخص المؤلف، يرويها المقدّم موثّقة، ومن النادر أن تجد هذه الحقيقة مدونة في كتاب أو مصنف على ما فيها من قيمة في ذلك المجال، فمن ذلك ما نقله الشيخ الندوي على لسان محمد بهجت الأثري أنه ذكر له: أن في مقدّمة الكتاب المعدودين الذين لا مغمز في عربيتهم الذين نبغوا في الهند، العلامة السيد صديق حسن، ووالدكم العلامة السيد عبد الحي الحسني.[١٩]

لقد لخص مقدم التقديمات محمد مكي مضامين هذه التقديمات وصنف موضوعاتها فوجدها في الذكريات، والتاريخ، والتراجم، والأدب، والدعوة، وأنواع المعارف، وفرائد الفوائد. ولعل أجلّ فائدة يجدها القارئ في هذه التقديمات، المعلومات المتعلقة بمؤلفي تلك الكتب، من ناحية، والمعلومات المتصلة بأقرانهم من العلماء والأدباء، فإنه من الصعب أن تجد هذه المعلومات في كتب التراجم التقليدية.

وكذلك يجد قارئ هذه التقديمات فوائد أدبية ولغوية وتربوية تتصل باختيار كتب الأدب، وتعريف الأدب الإسلامي، والصلة بين الفقه والأدب، والعلم والأدب، والأخطاء اللغوية والأسلوبية، وخصائص الكتابة الأدبية، وأسلوب المسرحيات المنظومة، وخصائص التأليف لدى العلماء السابقين، وأساليب التعليم، وأساليب التأليف، وطبقات المؤلفين، وشفافية الخلاف مع العلماء الذين لا يتفق مع آرائهم.[٢٠]

هل يمكن أن يسيء التقديم إلى الكتاب ومؤلفه!! لعله غير متوقع هذا الأمر، ولاسيما أن من حق المقدّم له أن يعتذر للمقّدَم له عن قبول تقديمه، ولكن الأمر ليس كذلك، وقد يساء للكتاب وليس لصاحبه بشكل غير مباشر، وتكون الإساءة غير مقصودة، وهذا ما حصل فعلا لمنظّر أدب التقديمات، أبي الحسن الندوي، وقد كان من الشجاعة والثقة بالنفس

أن صرح بذلك، بل نقل هذا الحكم من طرف ثالث، حتى يكون موضوعيا ونزيها، ومتجردا. نقل لنا رأي الملك عبد الله بن حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية "إن هذه المقدمة قد أساءت إلى الكتاب" والمقدمة المقصودة هي مقدمة أحمد أمين الأديب المشهور لكتاب أبي الحسن الندوي "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"

لم ينعكس هذا الأمر انعكاسا سلبياً ولم ينزعج منظّر أدب التقديم مما حصل بل علل الأمر وفسر الظاهرة: أن صاحب هذا التقديم لم يكتب عن اندفاع وحماس، وإنما كتب أداء للواجب، وإجابة للطلب، وكان صاحبه لا يؤمن بفكرة الكتاب الأساسية أو على الأقل لم يتحمس لها. وأكد تفهمه للموقف فقال:

" لا ذنب على الدكتور أحمد أمين، رحمه الله، فإن له منهجا خاصا في التفكير والكتابة وليس في استطاعة كل أديب أو باحث أن يتذوق موضوع كتاب يقدم له وأن يتحمس له".

هكذا وسع المؤلف المقدّم لكتابه على الرغم مما يشي به تقديمه من إساءة أدركها طرف ثالث. وما أحوجنا إلى هذا الخلق في التعامل العلمي الشفاف، والتوجه بالعمل لله، والبعد عن الجدل والمراء، وسوء الظن لأنه ليس من حسن الفطن، وأصبح إثبات الذات والتحدي هو الغالب بما يبعد عن الأدبيات الإسلامية وأخلاق التسامح.

دراسة تحليلية نموذجية:

من أبرز النماذج في فن التقديمات، نموذج الشيخ أبي الحسن الندوي[٢١] في ثمانية تقديمات، سنتوقف عند واحد منها، هو "إظهار الحق"، للإمام العلامة الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي، المدرس في المسجد الحرام، ومؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، وأول عناصر هذا التقديم يظهر في التشويق الذي يجعلك تتابع التقديم، "وتقرر عقد مجلس المناظرة في ١١ من رجب سنة ١٢٧٠هـ (١٠ من إبريل ١٨٥٤م) في أكبر أباد-

أكبر إحدى مديريات الولاية الشمالية الرئيسية، وإحدى مجالات النشاط التبشيري في الهند، وفي حي من أحيائها المعروفة عبد المسيح"،[٢٢] ولا يكتفي بتحديد الزمان والمكان بهذه الدقة بل يصور لك المجلس والأعيان والوجهاء من أبناء المسلمين والمسحيين والهنادك والسيخ الذين حضروا هذه المناظرة، فقد أتى رحمه الله "بحجج وبراهين لم يسبق إليها، ولقي خصومه على يده من الهزيمة والانتكاس ما لم يلقوه من قبل، وانتهت إليه الرئاسة في هذا الفن في القرن الرابع عشر الهجري، وطبقت شهرته الآفاق، وسلّم له معاصروه وأقرانه وعلماء العالم الإسلامي بالإمامة والزعامة في هذا الموضوع، ويبين الظروف والملابسات المقترنة بالكتاب الذي يقدم له، ثم ينتقل إلى الجوانب المضيئة في شخصية المؤلف: إخلاصه وابتغاؤه وجه الله، ويتوقف عند خصائص الكتاب بشكل نقاط مركزة، ويعتمد على الأمثلة المشابهة، فيشير إلى جهد ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" ويستخدم أسلوب التورية في الإشارة إلى مؤلفات الشيخ رحمة الله، إظهار الحق، وإزالة الشكوك، وإزالة الأوهام. ويضيء لنا طرفاً من العصر الذي عاش فيه، كما يصور التحدي الذي كانت تواجهه الهند، من خلال حركة التبشير الكبيرة، يدعون الفقراء والأميين إلى دين الفاتحين الأقوياء الأغنياء، الذين حالفهم الجد في كل ميدان، وكفى بذلك دليلاً على صدق الدين الذي يدينون به في عيون الجهلاء الضعفاء، وكانت معركة حاسمة لابد أن يخوضها الشعب المسلم الهندي، قبل أن يواجهها شعب آخر، وكان لابد من شجاعة خاصة يتمتع بها هذا العالم ليواجه هذا التحدي العظيم بلغة كان يجهلها، فقيّض الله له جنداً من جنود السماء والأرض هو الدكتور محمد وزير خان الأكبر أبادي.

ومن خصائص هذا التقديم سهولة الأسلوب، وسلاسته في عرض مضامين الكتاب، فمن ذلك وصفه المناظرة بالقرار الذي اتخذ قبلها: إذا انتصر الشيخ رحمة الله في هذه المناظرة، يدخل فندر في الإسلام، وإن كان بالعكس يتنصر الشيخ. وما أسفرت عنه المناظرة داخل البلد وخارجه، وكانت حديث النوادي والشغل الشاغل والمقيم المقعد في البلد اعتراف القس

فندر بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل، وقد أفزع ذلك الولاة وأنصار فندر وشيعته ولكنه سهم أطلق من القوس فلا رادّ له، وتزايد عدد الحاضرين في الغد وازداد عدد الحكام الإنجليز، والمسيحيين والهنادك والسيخ، وانتهى الشيخ بقوله: "إنك مادمت قد اعترفت بوقوع التحريف في الإنجيل فقد أصبح هذا الكتاب مشكوكاً فيه برمته"، وانتهى البحث عند ذلك، ولم يرجع القس إلى البحث والمناظرة في اليوم الثالث.

وتقدر النجاة للشيخ إذ يترك بلاده إلى الحجاز، ويظهر القس فندر في عاصمة الخلافة التركية القسطنطينية، مبشراً بالنصرانية، ويدعى الشيخ رحمة الله إليها، بعد عشر سنوات من المناظرة في الهند، ولكن القس فندر لما علم بوجوده غادر العاصمة لساعته، وكتب النصر للإسلام مرة ثانية. إن الوقوف عند خصائص فن التقديم يحتاج إلى تحليل نماذج أخرى من مقدمات أبي الحسن الندوي وعلي الطنطاوي، ولكنها لاتناسب مقام الإيجاز الذي يقتضيه المشاركة في المؤتمر، ولابد أن نقر بأن كلاً من الكاتبين المذكورين مدرسة في هذا النوع الأدبي.

الخلاصة

وفي الخلاصة يمكن أن نلفت النظر إلى أن أدب التقديمات يحتاج إلى مزيد من البحوث والدراسات، لأن مادته الأولية كثيرة ومبثوثة في كتب كثيرة، فمن ذلك مقدمات عمر عبيد حسنة لسلسلة كتاب الأمة، ومقدمات طه جابر العلواني لسلسلة إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الخاتمة

لقد وقف البحث عند أديب كبير هو أبو الحسن، فأشار إلى معالم حياته الأدبية، وجهوده في ميدان التأليف بشكل موجز، ثم تناول فن التقديم عند أبي الحسن فعرض للأنواع الأدبية بمفهومها الاصطلاحي، ثم انتقل وتوقف وقفة متأنية عند مفهوم أدب التقديمات لغة

واصطلاحا، وعرض لهذا النوع في المفهوم الغربي، وقلة ما كتب فيه، ثم أشار إلى المصطلحات الأخرى المناظرة لهذا النوع، وكانت الوقفة الطويلة عند ضوابط هذا الفن وأهميته عند أبي الحسن الندوي. ولم يغفل البحث أديبا آخر له إسهامات في هذا الفن هو علي الطنطاوي إلا أن أبا الحسن اختلف عن الطنطاوي في أنه نظّر لهذا النوع الأدبي، ومارسه كذلك، في حين أن الطنطاوي اكتفى بتقديم نماذج كثيرة لفن التقديمات دون أن ينظر له، وانتهى البحث بدراسة نموذج للتقديم عند أبي الحسن وتحليل خصائصه من حيث الشكل والمضمون.

هوامش البحث:

[١] يتضمن الكتاب أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة ترجمة لأعيان الهند حين حكم المسلمون هذه القارة نحواً من ألف عام.

[٢] الندوي، أبو الحسن الندوي. **في مسيرة الحياة**، (دمشق: دار القلم، ١٩٨٧)، ٨٨/١.

[٣] القاضي، علي. **مجلة البعث الإسلامي**، (العدد ٥، مجلد ٤٥، سنة ١٤١٨هـ)، ص٣٩.

[٤] الندوي. **مقدمة في مسيرة الحياة**، مصدر سابق، ١٢/١.

[٥] زبير، محمد طارق. **مؤلفات سماحة الداعية الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي بالعربية**، (لكنهو: مكتبة حراء، ١٩٩٨).

[٦] آزادي، محمد عبد السلام، **التأصيل الإسلامي للغة العربية وآدابها في جهود الشيخ أبي الحسن الندوي**، (القاهرة: دار المنارة، ٢٠٠٦)، ص ٧١ - ٧٢.

[٧] الزمخشري، جار الله، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م)، ص٥٨- ٥٩، مادة (قدم).

[٨] يلاحظ أن هذا النوع الأدبي لقي تجاهلا أو غفلة من كثير الدراسات المعنية بفنون النثر وأنواعه، إذ لم ترد له إشارة من قريب أو بعيد فيها، ينظر على سبيل المثال: كشاف اصطلاحات الفنون لأبي الحسن التهانوي، ومعجم مصطلحات النقد العربي القديم لأحمد مطلوب. وكذلك ينظر: حسين، عبد الرزاق، **فن النثر المتجدد**، (القاهرة: مؤسسة المختار، ط١، ١٩٩٨). كذلك الماضي، **في نظرية الأدب**، مرجع سابق، ص١٠٥-١٠٦.

[٩] Book writing template, Don Poynter. Para publishing, Santa Barbara, USA ٢٠٠٥

[١٠] والقياس أن يكون في شمال الكتاب بالنسبة للعربية لاختلاف العربية عن اللغات اللاتينة في أنها تبدأ من اليمين.

[١١] وهبة والمهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

[١٢] شرف،عبد العزيز، **أدب السيرة الذاتية**، (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٢)، ص٥-٦.

[١٣] نفسه، ص٦.

[١٤] الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦)، ص٥- ١١.

[١٥] الوراكلي، حسن، **وشي وحلي**، (تطوان: مكتبة سلمى الثقافية، ٢٠٠٥).

[١٦] الندوي، أبو الحسن، **شخصيات وكتب**، (بيروت: دار القلم، دمشق: الدار الشامية، ط١، ١٩٩٠)، ص٩-١٠.

[١٧] آزادي، **التأصيل الإسلامي للغة العربية وآدابها في جهود الشيخ أبي الحسن الندوي**، مرجع سابق، ص١٨٠ - ١٨١.

[١٨] مكي، مجد، **مقدمات الشيخ علي الطنطاوي**، (جدة: دار المنارة، ط١، ١٩٩٧)، ص٩.

[١٩] الندوي، **شخصيات وكتب**، مرجع سابق، ص٢٤٣.

[٢٠] مكي، **مقدمات الشيخ علي الطنطاوي**، مرجع سابق، ص١٣- ١٤.

[٢١] ينظر: الندوي، **شخصيات وكتب**، مرجع سابق، ص١٦٥- ١٧٦.

[٢٢] نفسه، ص١٦٩.